

## الدُّعَاءُ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

**أما بعد:**

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - حَقَّ التَّقْوَى؛ فَمَنْ اتَّقَى رَبَّهُ ارْتَقَى دَرَجَاتٍ؛ وَطَابَ مَأَلَهُ بَعْدَ الْمَمَاتِ.

**أيها المسلمون:**

الخلق مفتقرون إلى ربهم في جلب منافعهم ودفع مضارهم، في إصلاح دينهم ودنياهم، وكمال المخلوق في تحقيق عبودية الله عز وجل، وكلما زاد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته، والله جلّ وعلا يبتلي عباده بعوارض تدفعهم إلى بابه يستغيثون به، وهذا من النعم في طي البلاء، والافتقار إلى الله هو عين الغنى ولُبُّ العبادة ومقصودها الأعظم، والتذلل له سبحانه هو العز الذي لا يجارى، والدعاء هو سمة العبودية، والله يحب أن يسأله العباد جميع حاجاتهم، في الحديث القدسي: «يا عبادي: كلُّكم ضالٌّ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلُّكم جائعٌ إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم» (رواه مسلم). والرَّبُّ لا يعبأ

بعباده لولا ضراعتهم إليه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧]، والدعاء من صفات أنبياء الله وأصفياؤه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وإمام الحنفاء يقول: ﴿وَادْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨]. الدعاء روضة القلب وجنة الدنيا، عبادة ميسورة، مطلقة غير مقيدة بمكان ولا زمان ولا حال. دعاء في الليل والنهار، وتضرع في البر والبحر، وحين الإقامة والسفر. نفعه يلحق الأحياء في دنياهم والأموات في لحودهم «أو ولد صالح يدعو له».

الدعاء يكشف بفضل الله البلايا والمصائب، ويمنع وقوع العذاب والهلاك، وهو سلاح المؤمن، لا شيء من الأسباب أنفع ولا أبلغ في حصول المطلوب منه، هو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أنا لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن معه الإجابة». فلا شيء أكرم على الله منه، ما استجلبت النعم ولا استدفعت النقم بمثله. به تُفرج الهموم وتزول الغموم، كفاه شرفاً قرب الله من عبده حال الدعاء، وأعجز النَّاس من عجز عن الدعاء وأضعفهم رأياً وأدناهم همة من تخلف عن النداء، الدعاء هو عين المنفعة، ورجاء المصلحة، ودعاء المسلم بين يدي جواد كريم يعطي ما يُسأل إما معجلاً وإما مؤجلاً، يقول ابن حجر - رحمه الله -: «كل داعٍ يستجاب له لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه».

بالدعاء تسمو النَّفس، وتعلو الهمم، ويُقطع الطمع مما في أيدي الخلق. الداعي موفور الكرامة، مهاب الجنب، وكلما اشتد الإخلاص وقوي الرجاء كلما كانت الإجابة أحرى، يقول يحيى بن معاذ - رحمه الله -: «من جمع الله عليه قلبه في الدعاء لم يرد»، فأطب مطعمك

ومشربك، وتعفّف عن الشبهات، وقدم بين يدي دعائك عملاً صالحاً، وناد ربك بقلب حاضر وصوت خافت، زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ نادى ربّه نداءً خفياً ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨] فرزقه الله يحيى نبياً، وتخير في دعائك والثناء على ربك أحسن الألفاظ وأنبأها وأجمعها، وتحزّ من الأوقات الفاضلة والأحوال الصالحة أرجاها، وإذا دعوت فاستكثر ربك الخير في دعائك، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه» (رواه مسلم). والساجد من ربه قريب حري أن يعطى سؤله، وتجنب الدعاء على أهلِكَ ونفسك ومالك، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم» (رواه مسلم)، ولا تستبطيء الإجابة، وألح على الله في المسألة، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكث يدعو على رعل وذكوان شهراً، وربك حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يده إليه أن يردّها صفرًا.

فادع وربك الأكرم، وألق نفسك بين يديه، وسلّم الأمر كله إليه، واعزم المسألة، وأعظم الرغبة، فما ردّ سائله ولا خاب طالبه، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالخلق لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالرب فنعم الرزاق هو، فأظهر - أيها الداعي - الشكوى إلى الله والافتقار إليه، فهو جابر المنكسرين وإله المستضعفين، يقول يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، فهو صاحب كل نجوى، وسامع كل شكوى، وكاشف كل بلوى، يده تعالى ملأى لا تغيظها نفقة سحّاء الليل والنهار، ما أمّل تعالى لنايبة فخيّبها، وما رُجي لعظيمة فقطعها، لا يؤمل لكشف الشدائد سواه، بيده مفاتيح الخزائن، بابه مفتوح لمن دعاه، فاستعمل في كل بلية تطرقك حسن الظن بالله في كشفها، ومن ظن بربه خيراً أفاض عليه جزيل خيراته، وأسبل عليه جميل تفضلاته، وبالإخلاص

تدور دوائر الإجابة، ولازم الطلب فالمعطي كريم، والكاشف قدير، ولا تستعجل الإجابة إذا دعوت، ولا تستبطنها إذا تأخرت، ومن يُكثر قرع الأبواب يُوشك أن يُفتح له، وإذا تزخرف النَّاس بطيب الفراش فإرفع أكَفَّ الضراعة إلى المولى في دجى الأسحار إذ يناديك في ظلماتها «من يدعوني فأستجيب له»، والدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد، ودعوة الوالد لولده مستجابة، فأكثر - أيها الأب - من الدعاء لأبنائك بالهداية، وملازمة السعادة والعصمة من الفتن، ودعوة المسلم لأخيه الغائب مسموعة والمَلِك يؤمِّن على دعوته، والبار بوالديه دعوته لا ترد، وفي الجمعة ساعة مستجابة، ولا تؤذ الصالحين أو تسخر منهم، فلهم عند الله شأن، كلماتهم صاعدة، ودعواتهم مستجابة، يقول الله - جلَّ وعلا - في الحديث القدسي عن أوليائه: «ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه».

ومن حلت به نوائب الدهر وجأر إلى الله حماه، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]. ألقى يونس عليه السلام في بطن الحوت وبالدعاء نبذ بالعراء من غير أذى، يقول النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «دعوة ذي النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له»، وفي لفظ «لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه» (رواه الترمذي).

بدعوة تتقلب الأحوال، فالعقيم يولد له، والسَّقِيم يشفى، والفقير يرزق، والشقي يسعد، بدعوة واحدة أغرق أهل الأرض جميعهم إلا من شاء الله ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وهلك فرعون بدعوة موسى عليه السلام ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، ووهب ما وهب لسليمان عليه السلام بغير حساب بسؤال ربه الوهاب، وشفى الله أيوب عليه السلام من مرضه بتضرعه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]،

وأغيث نبينا محمدًا ﷺ يوم بدر بالملائكة بتبتله إلى مولاه مع قلة العدد وذات اليد ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الأنفال: ٩].

وإذا انقطعت بك - أيها المظلوم - الأسباب، وأغلقت في وجهك الأبواب، فاقرع أبواب السماء، وبتَّ إلى الجبار اللأواء، فهو مفرع المظلومين، وملجأ المستضعفين، وعد بنصرة المهوف وإجابة المظلوم، ظلم رجل سعد بن أبي وقاص ﷺ فقال سعد: «اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياء وسمعة، اللهم فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن، فكان إذا سئل بعد يقول: شيخ كبير مفتون أصابتنني دعوة سعد، قال الراوي: فأنا رأيتُه بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتبع الجواري في الطرق يغمزهن» (رواه البخاري).

يقول ابن عقيل - رحمه الله -: «يستجاب الدعاء بسرعة للمخلص والمظلوم». فيا ويل من وُجِّهت له سهام المظلومين، ورفعت عليه أيدي المستضعفين. فاصبر - أيها المصاب - على ما قُدِّر، فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، واليسر مع العسر، والبلاء المحض هو ما يشغلك عن ربك، وأما ما يقيمك بين يديه ففيه كمالك وعزك، وإذا أقبل اليسر وحل الفرج وزالت الغموم - وما أقرب الأمر -، فاحمد الله على ما كشف ففي الحمد شكر وزيادة النعم.

### أعوذ بالله من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

## الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

**أما بعد: أيها المسلمون:**

قضاء الله لعبده المؤمن عطاء وإن كان في صورة المنع، وهو نعمة وإن كان في صورة محنة، وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بلية، يقول عمر بن العزيز - رحمه الله - : «أصبحت وما لي سرور إلا في انتظار مواقع القدر، إن تكن السَّراء فعندي الشكر، وإن تكن الضَّراء فعندي الصَّبْر»، ومن ألهم الدعاء لم يُحرم الإجابة، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «ما على وجه الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدعو بِإِثْمٍ أو قَطِيعَةٍ رَحِمَ، فقال رجل من القوم: فإذا نكث، قال ﷺ: الله أكثر» (رواه الترمذي).

والذين يدعون الله ويدعون معه غيره أغلقوا باب الإجابة، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]. دعاؤهم للأموات هباء لا يجلب مرغوباً ولا يمنع مكروهاً، وهو الشرك الأكبر والذنب الذي لا يغفر، يقول سبحانه ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، ويقول عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «إذا سألت

فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» (رواه الترمذي). فاجتهد في الدعاء، وأخلص له العبادة، وأفرده بالدُّعاء، واغتنم ساعات عمرك، فلن يهلك مع الدعاء أحد، فالسعيد من وفق لذلك، والمحروم من حرم لذة العبادة، أو أيس من رحمة الله وكان من القانطين.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه . . .